## د/صالح ولعة

## . مقياس النقد الأدبي الحديث ماستر 1 سداسي 2

## الوحدة العضوية : تابع: جماعة الديوان

كانت الوحدة العضوية من القضايا النقدية التي أولاها جماعة الديوان عناية فائقة وفصلوا فيها تفصيلا ينم عن إدراكهم لمكانتها العظيمة في الشعر الحديث فالوحدة العضوية في نظر جماعة الديوان تبين عن الغرض العام للقصيدة و تكشف عن مغزاها و علاقتها بالحياة أو الناس و إننا نجد عبد الرحمان شكري أول من تحدث عن الوحدة العضوية في القصيدة الشعرية و أول من ألح عن وجوب تحقيقها في العمل الأدبي .

وقد انتقد شكري الجمهور أو القراء العاديين الذين يكتفون بالتقاط الأبيات التي تناسب أذواقهم من النص و يذرون ما عداها مبينا أن هذه الطريقة تفسد المعنى العام للقصيدة و تقصر من إدراك السبب الذي دفع الشاعر إلى نظمها .

فقيمة كل بيت من القصيدة تتحدد ( في الصلة التي بين معناه و موضوع القصيدة لأن البيت جزء مكمل و لا يصح أن يكون البيت شاذا خارجا عن مكانه في القصيدة بعيدا عن موضوعها و قد يكون الإحساس بطلاوة البيت وحسن معناه رهينا بتفهم الصلة التي بينه و بين موضوع القصيدة ومن أجل ذلك لا يصح أن نحكم على البيت بالنظرة الأولى العجلى الطائشة بل النظرة المتأملة الفنية فينبغي أن ننظر إلى القصيدة من حيث هي شيء فرد كامل لا من حيث هي أبيات مستقلة ).

و قد ذهب العقاد مذهب شكري حيث شبه القصيدة الشعرية بالجسم الحي الذي يقوم فيه كل عضو بدوره في تزيين الجسم فقال ( إن القصيدة ينبغي أن تكون عملا فنيا تاما يكمل فيه تصوير خاطر أو خواطر متجانسة فالقصيدة كالجسم الحي يقوم فيه كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته ولا يغني عنه غيره في موضعه إلا كما تغني الأذن عن العين أو القدم عن الكف أو القلب عن المعدة أو هي كالبيت المقسم لكل حجرة فيه مكانتها و فائدتها و هندستها .

أما المازني فيرى أن معنى القصيدة لا يبين إلا بقراءتها جملة واحدة فقد لا يتحقق هذا المعنى من قراءة بيت أو بيتين ( و هذا يستوجب أن ينظر القارئ في القصيدة جملة لا بيتا كما هي العادة فإن ما في الأبيات من المعاني إذا تدبرها واحدا واحدا ليس إلا ذريعة للكشف عن الغرض الذي قصد الشاعر و شرحا له و تبيينا ).

## ***سمات الوحدة العضوية في نظر جماعة الديوان***

رأت جماعة الديوان أن الشعر القائم على وحدة الموضوع له سمات تميزه عن سائر الشعر:

{} وأول هذه السمات طول نفس الشاعر و قدرته على ملاحقته المعنى وتتبعه والاسترسال فيه فإن ذلك في شأنه أن يوضح المعنى و يوفر للنص وحدته الموضوعية والنفسية و لعل طول النفس الشعري هو الذي دفع العقاد لأن يعجب بابن الرومي و يخرجه ( على سنن النظامين الذين عرفهم الشعر العربي في عصوره المتتابعة ) .

{} و السمة الثانية التي تطبع هذا الشعر أنه لا يقبل التقديم و التأخير في الأبيات حيث و أنه يخضع للتسمية و العنونة حينا اخر إذ القصائد التقليدية ترفض هذا الخضوع فهي جهدت أن نسميها بعناوين و أسماء ترتبط بمعناها و جوهرها كما هو معروف من أن الأسماء تتبع السمات و العناوين تلتصق بالموضوعات و رأيتهم يحسبون البيت من القصيدة جزءا قائما بنفسه لا عضوا متصلا بأثر أعضائه فيقولون أفخر بيت و أشجع بيت و هذا بيت القصيد وواسطة العقد ؛ يقول العقاد :

" و هذا أدل دليل على فقدان الخاطر المؤلف بين أبيات القصيدة و تقطع النفس فيها و قصر الفكرة و جفاف السليقة ) .

أما التقديم و التأخير فمن أبرز سمات شعر البيت لا شعر القصيدة و هو عند العقاد عيب يفسد الشعر و لا يأتي إلا بالغث منه ) ففي نقد العقاد لشوقي يعيب عليه أن قصائده تفتقر إلى الوحدة العضوية ففي رثائه لمصطفى كامل يقلب العقاد أبيات هذه القصيدة كما هو يراها لا كما نظمها الشاعر و يرتبها بالتقديم و التأخير على ما أحب هو و يقول ( إنما يظهر انحلال هذه القصيدة

من سؤال القارئ نفسه هل قرأ في الشعر أشد تفككا منها فعلى حسب الجواب يكون حكمه على مصدرها من قريحة شوقي و هل هي نبعت من شعور فياض يتدفق على موضوعه فيغمره كما يغمر السيل الوهاد و الفجاج أو تقطرت من عقل ناضب يهب بالقطرة بعد القطرة فتأتي كالرشاش لا يتولد منه إلا الوحل و اليبس ) .

تعليق : و في الحق أن جماعة الديوان نظرت إلى الوحدة العضوية على أنها الوحدة المعنوية في النص وهي تعني إطراد الخواطر والمشاعر في جميع أبيات القصيدة الأمر الذي عرض هذه الجماعة و بخاصة العقاد إلى هجوم معارضيهم من النقاد و الأدباء أمثال طه حسين و غيره .

## ***التجديد في الشعر أو ما يسمى بالشعر الحر***

رفضت جماعة الديوان الشعر الحر واعتبرته ضربا من الفوضى الفكرية التي تتعارض مع جوهر الشعر ومن المعلوم أن جماعة الديوان وقفت امام حركات التجديد في الوزن الشعري أو قل أمام حركات الإخلال به فعبد الرحمان شكري يحذر من هذا الشعر و أن ينساق الشبان الناشئون وراءه فهو يؤكد على ضرورة الوزن في الشعر و يوافق المازني الذي لم ير بواكير الشعر الحر في زمانه على ضرورة الوزن في الشعر فهو يؤكد الصلة الطبيعية بين الإحساس والوزن فيرى أن الوزن شيء ضروري في الشعر و ليس هو بالشيء المصطلح عليه .

على أن موقف العقاد أشد وضوحا من موقف صاحبيه فقد شهد المعارك العنيفة بين دعاة التجديد في الشعر و بين المحافظين و أبرز مواقف رفضه لهذا الشعر ما هاجم به صلاح عبد الصبور قائلا " إذا صح ان إخواننا المجددين يعتبون علينا لأننا نقصر في توجيههم فمن حق النصيحة إذن أن نهمس في آذانهم ليتركوا هذا الشعر السائب من ألفه إلى يائه لأنه شغلة لا تفلح أو لعبة لا تسلي و لم يسمع لهم أحد فيما يتغنون به من حديث الشعر بلا وزن ولا قافية لأن حجتهم فيه هزيلة مملولة و ما عهدنا في التاريخ القديم أو الحديث أن الأمم تبني أركان ثقافتها عشرات قرون ثم تهدمها آخر الأمر بهذه السهولة و بغير حجة معقولة أو غير معقولة )

أما الموقف الأخير الذي نرصده للعقاد من الشعر الحر فهو رفضه إدعاء أنصار هذا الشعر إنما يكتبون ذلك ليناسب أذواق الشعب أو أفهامه إذ الوزن و القافية في نظرهم تحجب هذا الفهم عن عامة الشعب فالعقاد يرفض هذا الإدعاء أو هذه الغيرة الشعبية كما سماها و يرمي أصحاب هذا الإدعاء بالمغالطة و الجهل بالمغالطة لأنهم لا يفكرون في الشعب بقدر ما يفكرون في أنفسهم فلقد عجزوا عن نظم الشعر في إطاره القديم فزهدوا عن هذا الإطار إلى الشعر الحديث و أما الجهل فلأنهم نسوا أو تناسوا أن للشعب شعراء أميين لا يقرؤون و لا يكتبون و أن هؤلاء الشعراء ينظمون شعرهم على بحور تتجاوز بكثير بحور الخليل.

ولا يقف العقاد عند هذا الرفض بل يصف هؤلاء الشعراء المجددين بأنهم أعداء الشعب (فإن العدو المبين للشعب هو الذي يحرم عليه التعليم ثم يفرض عليه الجهل ضريبة دائمة لا ترتفع عن كاهله الآن إلا بعد حين ).

فيرى العقاد أن التخلي عن الوزن و القافية في الشعر إفساد للذوق و نزول بالشعب إلى مستوى الجهالة الأبدية.